بحوث ودراسات

الإيمان بين غياهب الحداثة وما بعد الحداثة

عنايت الله بن نور الهدى
جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

"الحداثة" و"مابعد الحداثة" تعتبران من المصطلحات المعاصرة، ترتج بصداهما المنابر الثقافية والعلمية والأدبية، والفلسفية على وجه خاص، والذي يتعمق فيها بالبصيرة الربانية قد يتخلص إلى أنهما من قبيل كلمات حق أريد بها الباطل، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، والإيمان بالغيبيات، والاستنارة من السيرة النبوية وما كان عليه السلف الصالح في القرون المفضلة والعصور الذهبية. هذا بجانب الإشادة بالباطل والزور، وإشاعة الفاحشة في المجتمع البشري، وإفشاء الهمزية، والهجمة الشعواء ضد الأصالة، وإثارة الفوضى، والضرب بالقيم الاجتماعية عرض الحائط .... اللهم إلا أن الشيطان زين لقرنائه سوء أعمالهم، فاستطاعوا تقديم هذه الأمراض الفكرية الخطيرة في صور جميلة، بنعرات براقة، وأساليب منمقة، حتى ينخدع السذج والبسطاء من الناس. وفي هذه الدراسة الجِدِّية نحاول إبراز تلك الأهداف الخفية والأخطار الشرسة، وراء كل من الحداثة ومابعد الحداثة، ولكن قبل ذلك يجدربنا تقديم مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، حتى يسهل للقارئ فهم الموضوع.

مفهوم الحداثة:

إن الحداثة مصطلح شابه الغموض حتى لدى منتجيها فضلاً عن متلقيها، وهناك خلاف شائع بين الناقدين حول تسمية الحداثة هل هي تفيد معنى modernism و modernization أو معنى modernity؟ إذ يختلف مصطلح الحداثة (بمعنى modernism و modernization) في اللغتين الإنجليزية والفرنسية. فالحداثة بمعنى modernity موقف فلسفي عقلي تجاه مسألة المعرفة. ويستخدم لوصف حال المجتمع

في عصر التنوير في القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين، وذلك يشمل النظرة العقلانية للقضايا الاجتماعية ومحاولة تشكيل الأنظمة الاجتماعية وفقاً للمبادئ المنطقية والعلمية؛ وذلك في ضوء الاعتقاد في صرامة وصلابة المعرفة واليقين، مما انعكس في محاولة المنظرين في مختلف العلوم لإرساء مبادئ العقلانية من خلال إخضاع الموضوعات التي يدرسونها للضبط، هذا من ناحية، والتحكم في سير التقدم من ناحية أخرى[1].

وأما الحداثة في معنى modernism و modernization فهي عملية استجلاب التقنية والمخترعات الحديثة حيث توظف هذه التقنيات دون إحداث تغيير عقلي أو ذهني للإنسان تجاه الكون والعالم. فالتحديث هو الحداثة وقشورها، وأما الحداثة فهي أعمق من ذلك، هي تغيير في الوعي..."[2]. في حين عرّف كل من جوان جارود (JoanGarrod) وتوني لوسون (Tony Lawson) الحداثة في المعنى المذكور، بأنها "حركة في الفنون والثقافة والعمارة تقر بما حققه مشروع التنوير من تقدم وتهتم على وجه الخصوص بالوظيفية في الشكل، حيث الأفضلية قائمة دائماً للتصميم الوظيفي الحديث[3]".

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن الطين زاد بلة عند ما تم ترجمة المصطلح إلى العربية؛ فزاد التداخل بين مدلولي كل من ماندرنزم ومادرنيتي. حيث نجد النقاد العرب من يعتبر "مادرنيتي" هي الحداثة باعتبارها اتجاها في العلوم الاجتماعية، و"مادرنزم " هي

---

(١) Tony Lawson & Joan Garrod, Dictionary of Sociology, London: Fizoroy dearlon Publishers, ٢٠٠١, P.١٥٤.

نقلا عن علم اجتماع ما بعد الحداثة: رؤى نظرية ومقاربات منهجية للدكتورة مروة صلاح الدين عبدالله، ص ٢٢، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(٢) رمزي أحمد عبدالحئ، التربية ومجتمع الحداثة وما بعد الحداثة، ص ٢٤. الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، الوراق للنشر والتوزيع، عمان.

(٣) Tony Lawson & Joan Garrod, Dictionary of Sociology, London, Fizoroy Dearlorn Publishers, ٢٠٠١, P.١٥٤.

الحداثوية، باعتبارها نزعة في الفن والفلسفة والأدب، وليرى فيما بينهما تغايرا وتضادا للاتجاه الآخر[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن النقاد عرفوا الحداثة باعتبارات وأبعاد مختلفة؛ تاريخية، وفلسفية:

تعريف الحداثة باعتبار بعدها التاريخي:

هي "حقبة تاريخية متواصلة تمتد على مدى خمسة قرون، بدءاً من القرن السادس عشر بفضل حركة النهضة وحركة الإصلاح الديني، ثم حركة الأنوار والثورة الفرنسية، تليهما الثورة الصناعية، فالثورة التقنية، ثم ثورة المعلومات"[٢]. أما فيما يتعلق الأمر بتحديد هذه الفترة التأريخية فمنهم من يرى ابتداءها بعصر الأنوار (القرن الثامن عشر) إلى تسعينات من القرن المنصرم، ولذا فهي مرادفة لمصطلح التنوير، أو يجعلها متعلقة بعصر الأنوار فقط، ولا تتعداه، على حد تحديد هابرماس[٣].

تعريف الحداثة باعتبار بعدها الفلسفي:

الحداثة هي "مجموعة من العمليات التراكمية التي تطور المجتمع بتطوير اقتصاده، وأنماط حياته وتفكيره وتعبيراته المتنوعة"[٤].

وإن دل هذا التعريف فإنما يدل على أن الحداثة ليست عملية محددة زمنية انبثقت دفعة واحدة وإنما هي عمليات تراكمية متتالية، تم تشكيلها في فترات عدة[٥].

---

[١] كما أشار إلي هذا الجانب ناهد أحمد سيف، في رسالته للماجستير المعنونة بـ " حركة ما بعد الحداثة وانعكاساتها في الفكر الاجتماعي المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٢.

[٢] طه عبدالرحمن، روح الحداثة، ص ٢٣، و علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، العدد:٣٥.

[٣] نفس المصدر.

[٤] فتحي التريكي، فلسفة الحداثة، ص ٢٥.

[٥] مجدي عبدالحافظ، نحن بين الحداثة وما بعدها، قضايا فكرية، رقم الكتاب: التاسع والعشرون، أكتوبر ١٩٩٩م، ص ٢٦٥.

مفهوم ما بعد الحداثة:

إن مصطلح "ما بعد الحداثة" مصطلح شابه الغموض والالتباس إلى حدٍّ كبير، تبارى في رفعه عدد من النقاد المعاصرين، ولم يصلوا إلى تفهيم بليغ إلا بشق الأنفس، ولم يحظ مصطلح في الآونة الأخيرة من القرن المنصرم ومستهل القرن الحادي والعشرين، بدوي كبير على نطاق واسع بين المثقفين والنقاد مثلما حظي هذا المصطلح، فهناك الكثير من الغموض والجدل المثار حول ما يعنيه المصطلح بالتحديد. تقول الدكتورة مروة صلاح الدين عبد الله "إن التصدي لتعريف مصطلح "مابعد الحداثة" يؤكد أنه لم يحظ مصطلح في الآونة الأخيرة بدوي كبير وعلى نطاق واسع من الدارسين والفروع المعرفية المختلفة كما حظي مصطلح ما بعد الحداثة، فهناك الكثير من الغموض والجدل المثار حول ما يعنيه هذا المصطلح بالتحديد"[(١)].

وتقول أيضا: "قدمت في ذلك الصدد تعريفات متعددة ومختلفة فيما بينها، فالبعض يربطه بمجتمع ما بعد الصناعي، والبعض الآخر يربطه بعالم ما بعد الماركسية، بينما لايزال آخرون ينظرون إليه على أنه أحد حركات النقد الأدبي، والبعض ينظرون له كمرحلة تتميز بإتاحة الفرصة لشرائح جديدة في مجتمع جديد متعدد ومتنوع الثقافات، مما يؤكد صعوبة الوصول لتعريف واحد شامل لحركة فكرية تتطور في العديد من الاتجاهات المختلفة."[(٢)]

ويقول الدكتور سامي محمد نصار إن "مابعد الحداثة (post modernity) مثلها مثل الحداثة ليست مذهباً فكرياً أو اتجاهاً فلسفياً بل حالة أو مرحلة دخلت إليها البشرية في سعيها لتأسيس عالم جديد ذي شروط معرفية جديدة تختلف عما كان سائداً من قبل وكما قامت الحداثة على نقد المرحلة بل المراحل السابقة عليها لتؤسس عالماً جديداً وفق قواعد العقلانية الفنية التي بسطت سلطانها فكراً وتطبيقاً على شتى

---

(١) علم اجتماع ما بعد الحداثة رؤى نظرية ومقاربات منهجية، ص ٧١، وأرجعت القول إلى مصدر آخر، وهو:
George Ritzer, Sociological Theory, McGraw-Hill, ٥th Edition, ٢٠٠٠, New York, P.٦٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

مناحي الحياة ومن بينها التربية بطبيعة الحال، فإن ما بعد الحداثة قامت أيضاً على نقد الحداثة وتحطيم القواعد التي ارتكزت عليها"[١].

وتشير كارول نيكلسون وهي تعرف فلسفة ما بعد الحداثة إلى "أن أطروحة ما بعد الحداثة في الفلسفة تشمل عددا من المقاربات النظرية من بينها: النزعة البنيوية، والبرجماتية الجديدة. وهي مقاربات تسعى إلى تجاوز التصورات العقلية ومفهوم الذات العارفة باعتبارها تمثل أساس التقليد الفلسفي الحداثي الذي خرط معالمه الأولى ديكارت وكانط".[٢]

وفي الحقيقة إن تيار "ما بعد الحداثة" هي مجموعة من الأفكار ظهرت كردة فعل للحداثة، وأن روادها ومؤيديها لايؤمنون بنظام فكري مستقل، ولاينتمون إلى حركات منظمة، فلا يعتبر هذا التيار تيارا منظما ولا مستقلا كتيار الاشتراكية والحداثة، ولايؤيدها من وراء ظهرها حركة منظمة أخرى، بل يدعي مؤيدو "مابعد الحداثة" بأنها ليست باسم لنظرية، وإنما هي عصر، نمرّ به، وهي حالات نشعر بها وكوائف يتميز بها هذا العصر[٣]. ولكن ما هي إلا دعاوي فارغة لا تأوي إلى ركن شديد يؤيدها ويخرجها من مآزق الالتباس والغموض. وبما أنهم لا يتفقون فيما بينهم على أكثر الأمور يصعب على الباحثين تحديد المصطلح وضبطه، وتخلص ليوتار، من كبار الفلاسفة المابعد الحداثيين، إلى تعريف يساعد في رفع الالتباس إلى حد قليل:

I define postmodernism as incredulity towards meganarratives.[٤]

---

[١] سامي محمد نصار، "قضايا تربوية في عصر العولمة ومابعد الحداثة" ص ١١٥.

[٢] **Carl Nicholen: Postmodernism Feminism And Education, The Need for Solierity Education Thery, Summer ١٩٨٩, Vol. N٣ P١٩٧**

و ياسر الطائي، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، ص ١٦ دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٦.

[٣] لمزيد من الإطلاع حول الموضوع راجع إلى :

Bauman, Zgmunt (٢٠٠٠) Liquid modernity, Cambridge: Polity Press.

Lyotard, J.F. (١٩٨٤) The Postmodern Condition: A Report on Knowledge, Geoff Bennington and Brian Massumi (trans.), Minneapolis: University of Minnesota Press, P.xxiv.

[٤] نفس المصدر.

أي حسبما أعتقد أن ما بعد الحداثة هو رفض الاعتماد على السرديات الكبرى.

ولكن السؤال هنا، ما هي السرديات الكبرى؟ وفي الحقيقة، أن أصحاب الحداثة ومؤيديها قدموا العقل، والحرية، والديمقراطية، والسوق المفتوح الحر، والاشتراكية باعتبارها صداقة عالمية، ولكن أبدت الأيام أنها لاتتسم بالصداقة العالمية وإنما هي خداع، كشفت الأيام عن غطاءها، ورفعت ستارها وأثبتت كذبها وفشلها، فلاحاجة إلى هذه السرديات الكبرى(meganarraties)، وعلينا أن نرفضها جملة وتفصيلا، وقد آن الأوان لهدم هذه الفرضيات من بنيانها، والقضاء على تنبؤات الحداثة بشتى أنواعها.... وهذا الانهدام أصلا هو أكبر ميزات هذا العصر، وهذه الميزة هي "مابعد الحداثة" بنفسها.[1]

مخاطر الحداثة للإيمان:

في ضوء التوضيحات المذكورة نتخلص إلى أن الحداثة ترتكز على فكرة معينة تكاد أن تكون هي بنية الحداثة، وهي فكرة "مركزية الإنسان" التي تفيد بأنه محور الكون وسيِّد العالم وهو مرجع كل شيئ. كما يقول الدكتور رمزي أحمد عبد الحئ:

" فالحداثة – إذن – بهذا المعنى – حالة انطلقت من فكرة أن الإنسان هو (مركز) الكون وسيده، وأنه لايحتاج إلا إلى عقله فقط، في فهم الحياة، ودراسة الواقع، وإدارة المجتمع، والتمييز بين النافع والضار، دون الرجوع إلى وحي أو غيب"[2].

فالحداثة في هذا المعنى خطير جدا، فيه إنكار لرب العالمين، والتسليم له والإنقياد له، والخضوع أمام ربوبيته، ثم عبادته، وإن دلّ هذا على شيئ فإنما يدل بالضرورة على إنكار توحيد الربوبية والألوهية معا، وأن الحداثة تدعو إلى عبادة

---

[1] Anderson, Walter Truett (١٩٩٥) The truth about Truth: De-confusing and Reconstructuring the post modern world. New York: Penguin, PP. ٢٣٩-٢٤٤.

[2] رمزي أحمد عبدالحئ، التربية في مجتمع الحداثة ومابعد الحداثة، ص ٢٤، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

العقل، والنفس، والاستعلاء به على رب العالمين، تعالى الله عما يقول المنخدعون علوا كبيرا.

كما يشير تاريخ الحداثة إلى أنها قامت في أوربا في البداية على أساس أن العالم الحسي يحوي داخله ما يكفي لتفسيره و أن عقل الإنسان قادر على الوصول إلى المعرفة التي تنير له كل شيء، ويستطيع أن يفهم واقعه وذاته ويولّد منظومات أخلاقه دون الحاجة إلى معرفة تأتيه من غير العالم الحسي (الوحي!)[١].

وهذه الفكرة أصلا تنشأ من خطأ فادح آخر يضاد العقيدة الإسلامية السمحة، وهي فكرة "النزعة الإنسانية" التي حلت محل الاهتمام المفرط لدى مثقفي العصر، المثقفين المسلمين، مع أن النزعة الإنسانية بعد إيراسموس، وتوماس مور، ومارتن لوثر تطور إلى إفراط فاحش في القرن الثامن عشر الميلادي، إذ أطلق عليها عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر مصطلح الديانة العالمية (world religion)[٢]، وهذه الفكرة خطيرة جدا حيث اعتبرها الناعقون باسم التنوير بمثابة مذهب متكامل يعطي الإنسان رؤية شاملة للكون، والحياة، وأنها تجيب عن معظم الأسئلة للقضايا البشرية، المعنية بأسباب وجوده، ومسار حياته ومآله، كما تقرر له سلوكياته وأخلاقه.

وتزداد خطورة الحداثة فيما يتعلق بالهجمات ضد الإيمان بالله والانقياد له عند ما نتأمل في مبادئها ومدلولاتها الأصلية التالية:

مبدأ العقلانية: هذا المبدأ حسبما يؤكد أحد فلاسفة الحداثة "آلان تورين" في كتابه "نقد الحداثة" بأنه يقوم على فرضيتين أساسيتين:

أولا: أن العقل يعقل كل شيء؛ يعني أن الدين، والعالم، وجميع مؤسسات المجتمع، وسلوكيات الإنسان خاضع في كل المعنى للعقل.

ثانيا: استقلال العقل بنفسه في فهم القضايا والأمور المعنية بالإنسان؛ وهو يعني أن الإنسان لايحتاج إلى الوحي المنزل من الله تعالى ولا الهداية الربانية.

---

[١] عبدالوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ص ٢٥.

[٢] عبدالوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة ، ص ١٨، سلسلة الحوارات لقرن جديد – دار الفكر، دمشق.

وهذه العقلانية البحتة أثارت الفتن والشكوك والشبهات في المسلمات الدينية، خاصة في الحديث النبوي، والمعجزات، وما إلى ذلك، والسبب وراء هذه الشبهات وإنكار السنة النبوية إنما راجع إلى هذا المبدأ الخطير الذي اعتنقه الطبقة المثقفة بدون تأمل في حقيقته.

مبدأ النقد: وهو عبارة عن فرضيتين:

الفرضية الأولى: حتمية النقد؛ يعني هذا، أن المعرفة اليقينية لاتحصل للإنسان إلا بفضل النقد، وهي تنبثق من فكرة الشك المنهجي التي أتى بها أبو الحداثة ديكارت.

الفرضية الثانية: شمول النقد؛ يعني هذا، أن كل شيء يقبل النقد، ولوكان مقدساً، فالرب، و الدين، والقيم، والأخلاق وكل شيء عرضة للنقد.

مبدأ التقدم: بعد أن أصبح الإنسان سيدا للكون، انفتح له جميع الخيارات للتقدم والسير إلى الأمام دون حاجز، مادام أن رغبات الإنسان لا تتوقف[1]. وبهذا المعول يهدِّمون الإيمان بالقدر خيره وشره. ومن مخاطر هذا المبدأ أنه ينقسم إلى فرضيتين:

الأولى: أن التقدم قانون طبيعي؛ يعني أن التقدم حتمي، ليس للإنسان فيه إرادة، والتقدم هو التجاوز الخطي للتاريخ، أي أن المستقبل يكون أفضل من الماضي بالضرورة. وهذه الفكرة تتصادم مع الحديث النبوي حيث يقول صلى الله عليه وسلم "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[2]، و قوله صلى الله عليه وسلم "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ"[3]، والمعاني الأخرى المستفادة من الآيات القرآنية التي تدل على الأفضلية والأسبقية في الإسلام. كما أن البلية الأخرى في هذه الفكرة تتمثل في الجبرية التقدمية، والتي تنبثق من النظرية التطورية الداروينية الرافضة للقضاء والقدر والخلق... وهذه الأفكار كلها خاطئة وتضاد الإيمان بالله تعالى.

---

[1] رضوان زيادة، صدى الحداثة – مابعد الحداثة في زمنها القادم، ص ٣٦.

[2] أخرجه البخاري (٣٦٥١)

[3] أخرجه مسلم حديث (١٤٥)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الفتن " " باب بدأ الإسلام غريباً " حديث (٣٩٨٦).

الثانية: أن التقدم مقصود بذاته؛ أي أن التقدم هو المقصود بالذات، ليست العبادة التي خلق الله عزوجل الخلق لأجلها، حيث قال في محكم تنزيله "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[١]. وبالتالي أنه يطلب التقدم مهما كانت قيمته، على أساس شعارهم "what could be done, should be done" أي كل ما هو يمكن فعله يجب فعله لأجل التقدم، ولو كان بالقتل، والفتك، والدمار، فهذا التقدم مقصود لذاته ولا اعتبار هنا للهدف والغاية.

مبدأ الفردية: وهذا المبدأ ينبثق من النزعة الإنسانية، والتي ترسخت في ذهن الإنسان بأن الفرد هو أساس القيم، والفرد هو مسئول عن مآله ومصيره، والفرد هنا هو الفرد الداروينى؛ يقدس الإنسان، ويعلوه على الخالق، وبالإضافة إلى ذلك يبوء بمساوئ أخلاقية عديدة. كما يشير إليه الدكتور رمزي أحمد عبد الحي قائلا:

"ولعل الظواهر الاجتماعية والأخلاقية التي أفرزها هذا المبدأ في المجتمعات الغربية تكفينا في بيان بطلانه وفساده، فتأكل الأسرة الغربية وتفككها، وانكفأ الإنسان إلى ذاته وانشغل بتحقيق أغراضه فقط، وتضخيم مبدأ التعاقد الذي يحكم العلاقات بين الأفراد بدلاً من التراحم والتآنس، ونسبية القيم وانصهار الأخلاق، والتركيز على الاستهلاك وإشباع اللذة، وانتشار الشعار الجنسي، والشذوذ الفكري والديني (من السادية إلى عبدة الشيطان) كل تلك المظاهر وغيرها ما هي إلا مفرزات للفكر الفرداني الذي يكاد أن يكون عاملاً رئيسياً في انهيار الحضارة الأوربية"[٢].

هذه هي المخاطر الجسيمة الرئيسية التي تلقي الإيمان بالله تعالى، وعقيدة المسلم في زوبعة عنيفة من الأباطيل والأكاذيب، وتهدف إلى النيل من الذات الإلهية، والقضاء على الإيمان بالغيب، وتوحيده سبحانه وتعالى ثم الإخلاص له في العبادة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

[١] الذاريات: ٥٦.

[٢] رمزي أحمد عبد الحي، التربية ومجتمع الحداثة، وما بعد الحداثة، ص ٣٠.

مخاطر ما بعد الحداثة للإيمان:

ذهب النقاد إلى أن ما بعد الحداثة قامت على أنقاض الحداثة؛ إما على سبيل الامتداد لها، أو على سبيل المعارضة لها: وفي الصورتين جاءت بمخاطر جسيمة تجاه العقيدة الإسلامية والإيمان بالله تعالى. فإذا كانت امتدادا لحركة الحداثة فهي تزداد خطورة على ما تحمل المزيد من الغوايات على غوايات الحداثة، وأما إذا كانت معارضة لها، فهي أيضا جاءت بأفانين عجاب، زعزعت كيان عقيدة المسلم من الفئة المثقفة والفئة العامة من القارئين لأدب أو فلسفة مابعد الحداثة. ومن مخاطر مابعد الحداثة تجاه العقيدة والإيمان، وتوجيهاتها ما يلي:

مخاطر مرتكزات ما بعد الحداثة: إن لما بعد الحداثة مرتكزات تساعد في تكوين الفكرة، وصياغتها، وبعض هذه المرتكزات مضادة للعقيدة الإسلامية والشريعة، كالتالي:

- التقويض: تهدف ما بعد الحداثة إلى تقويض الفكر، وتحطيم أقانيمه المركزية بالتشتيت والتأجيل والتفكيك. يعني هذا أن ما بعد الحداثة قد تسلحت بمعاول الهدم والتشريح وتحاول فضح الإيديولوجيات السائدة، وتستغل لهذا الهدف، لغة الاختلاف والتضاد والتناقض. إن التقويض بهذا المعني مضاد للضوابط الشرعية.
- التشكيك: التشكيك في المعارف اليقينية، وانتقاد المؤسسات الثقافية المالكة للخطاب والقوة والمعرفة والسلطة من أهم ما تتميز بها مابعد الحداثة. إن من أهم مكائد أعداء الإسلام أنهم حاولوا إثارة الشبهات في الأصول الإسلامية، حيث عرفوا مدى إحكام الدين الحنيف، الذي حفظ المسلمين من الضلال والابتعاد عن التعليم الإسلامي الخالص. والتشكيك في أصالة ينابيع الأحكام الشرعية خاصة من قبل ديكارت وأتباعه مفرط للغاية، والذي يشك في كل شيء حتى في الذات الإلهية، والشك بهذا المعني مضاد للإيمان للغيب.

- العدمية : الفلسفة العدمية من أهم مرتكزات مابعد الحداثة، والعدمية تقوم على تغييب المعنى، وتقويض العقل والمنطق والنظام والانسجام. بمعنى أن فلسفات مابعد الحداثة هي فلسفات لا تقدم بدائل عملية واقعية وبراجماتية، بل هي فلسفات عبثية لا معقولة، تنشر اليأس والشكوى والفوضى في المجتمع. ومن هنا تنطلق ما بعد الحداثة بمسير إعدام العقل وتقويض منطقه العقلي. إن تقويض العقل في هذا المعني يقوم على الإفراط والتفريط، وهي صورة معارضة منتزعة لقدسية العقل السائدة في الحداثة، وهي ظلم، والظلم مرتعه وخيم. الإسلام يطلب إعطاء العقل حقه، وهو يأمر بتوظيف العقل السليم، ويشجع منطقه العقلي.
- الغرابة والغموض: تتميزمابعد الحداثة بالغرابة، والشذوذ، وغموض الآراء والأفكار والمواقف، وعلى سبيل المثال إن تفكيكية جاك ديريدا، مازالت غريبة وغامضة، كما أن فلسفة جيل دولوز معقدة وغامضة ، من الصعب بمكان تمثلها بكل سهولة. وبالإضافة إلى ذلك يوجد الغموض والإبهام في كثير مما يقول الكتاب الما بعد الحداثيين. إن الدين واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وهو يدعو الناس إليه على علم وبصيرة، وقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعده – صلى الله عليه وسلم – إلا هالك. فالغرابة والغموض من أغراض إثارة الشبهات في الأصول والمسلمات الدينية، حتى يتيه الإنسان في أودية الجهل والضلال.
- التحرير والاستقلال : تسعى فلسفات ما بعد الحداثة لأجل تحرير الإنسان من قهر المؤسسات المالكة للخطاب والمعرفة والسلطة، وتحريره أيضا من أوهام الإيديولوجيا والميثولوجيا البيضاء، وتحريره كذلك من فلسفة المركز، وتنويره بفلسفات الهامش والعرضي واليومي والشعبي. ويعيد التعبير للجميع ولكل من هبّ ودبّ على وجه الثقافة والتفاكرية. وباسم التحرير والاستقلال أنهم حاولوا

تحرير الإنسان من عبودية رب العالمين، والخضوع أمام رغباته وشهواته وهوى النفس. وباسم الحرية والديمقراطية يحاول البروتوكول الصهيوني لإثارة الاضطرابات الداخلية في البلدان الإسلامية، ثم إثارة الفوضى وتحريض المواطنين ضد الحكومات الرسمية النظامية، كما حصل مؤخرا بصورة جلية باسم "الربيع العربي" والذي كان ربيعا أسود في الأصل.

- اللامعيارية واللامنهجية: ما يعرف عن نظريات ما بعد الحداثة في مجال النقد والأدب تخلصها من النظريات والقواعد المنهجية، فميشيل فوكو يسخر من الذي ينطلق من منهجيات محددة يكررها دائما، ويحفظها عن ظهر قلب، فيرى أن النص أو الخطاب متعدد الدلالات، يحتمل قراءات مختلفة ومتنوعة. الإسلام يساند المعيار والمنهج، ويرفض الفوضى، واللامعيارية واللامنهجية، لأن القواعد المنهجية تمنع الإنسان من الفوضى والاستماع إلى كل نائق دون علم وبصيرة.[١]

وفي هذه المرتكزات الأساسية نرى مخاطر جسيمة على الإيمان بالله تعالى والعقيدة الإسلامية وتعاليم الشريعة.

وبالإضافة إلى ذلك هناك مبادئ تحمل بين طياتها مخاطر أخرى تقضي على العقيدة والإيمان، منها:

- أن حركة ما بعد الحداثة تسعى إلى إلغاء التقابل بين الذات والموضوع، والذي يفتح المجال لقبول سائر الأفكار والطروحات والنظريات. والذات – بما فيه الذات الإلهية – لاتمتلك فلسفة شاملة ولايقينا كاملا[٢].

---

[١] وقد أشار إلى هذه المرتكزات الدكتور جميل حمداوي في مقاله "مدخل إلى مفهوم مابعد الحداثة" المنشور تم تنزيله على موقع الألوكة، يمكن تحميل المقال و تصفحه من خلال الرابط التالي:

http://www.alukah.net/publications_competitions/٠/٣٨٥٠٩/#ixzz٤٧٧g٨rbmZ

[٢] السيد ياسين، الثورة المعرفية المعاصرة: حركة مابعد الحداثة، ص ١١.

- لدى ما بعد الحداثيين إن دراسة التاريخ لاتهم إلا لإلقاء الضوء على الحاضر، وليس له شأن في تربية الأجيال القادمة وليس سببا للاتعاظ والعبرة لأولي الألباب، بل التاريخ بالنسبة لهم مجال للأساطير والأيديولوجيات والتحيز.[1]
- إن ما بعد الحداثة تجعل من التاريخ الأساطير والخرافات، ومن ثم تموج كتابات ما بعد الحداثة بالخرافات، والأوهام، والإغراق في العبثية، والفوضى، والتفكيك، والهدم، والتحليل، وفقدان اليقين المنطقي، والانتشار. حيث تتخذ مبدأ الميتافيزيقيا نقطة الإمتاع والتشويق.
- السخرية اللاذعة تسيطر على كتابات مابعد الحداثة، والتهكم من أسلوب كتّابها، وهو خلاف للآداب الإسلامية.
- وهي من كبرى مؤيدات العلمانية والعولمة، وأنهما لاتتوافقان مع الدين الحنيف.

هذه هي بعض مبادئ ومرتكزات مابعد الحداثة تكشف لنا الخفايا من الأمور، وتبدي لنا ما كنا جاهلين عنه لسنوات طوال. وكل مخاطر الحداثة ومابعد الحداثة المذكورة أعلاها، تبدو خطيرة جدا، وأن بعضها تقضي على العقيدة الإسلامية، وتثير الشبهات، وتتطلي على السذج والبسطاء بل المثقفين أيضا، وتجعل الرجل المتدين المسلم يفكرعكس معتقداته، ويكتب ضده، ويلقي نفسه في هاوية الأغلاط والأخطاء، ويذهب فريسة سهلة للأعداء باسم الشعارات البراقة التي تحملها الحداثة ومابعد الحداثة. فندعو الله تعالى أن يجنبنا شياطين الجن والإنس، ويسدد خطانا وخطايانا، ويتوب علينا. آمين!

❖❖❖

[1] رمزي أحمد عبدالحيء، التربية ومجتمع الحداثة، وما بعد الحداثة، ص ٢٣.